فى الحب والحياة

من احسان الى آمال

عزيزتى آمال !

أهتف الآن من أعماق قلبى ياعزيزتى وأقول : اننا نسير فى هذه الحياة وفق إرادة عليا قد رسمت لنا — رضينا أم أبينا — هذه الارادة العالية هى الحب . .

وهل لك الآن أن تستغرق فى الضحك بعد أن كنت أنا أسخر منك يا آمال فى حبك الذى طالما حدثتينى عنه ، والذى كان سببا فى تقول الناس عنك حتى ان والديك لما عرضا عليك الزواج من عزيز بك . . رفضت الزواج منه بكبرياء وأخذ والداك يرميانك بكل نقيصة ؟

لم تأبهى بالشتائم المنصبة على رأسك وتحملت همس الغير وغضب الوالدين وتزوجت بحبيبك سعيد ، وها أنت الآن فى سعادة لا أحسدك عليها لأنك دفعت فى نشدانها ثمنا غاليا .

آمال ! كثيرا ما كنت ألومك على هذا السلوك وهذا التطرف فى إغضاب والديك . . .

لكننى الآن أحسب أن ما فعلتيه نزرا يسيرا . فلقد رسم لك الحب صورة من صوره ملؤها الشفقة والرحمة ، وسرت فى طريقك المرسوم . . . بل كثيرا ما كنت أسخر من أن هناك شيئا يسمى الحب وأن فى سبيله يتألم الانسان ...

وأن هذا الألم يراه المحب صورة مصغرة من السعادة التى يطلبها والتى لا يمكن أن يحصل عليها مالم تتعد تلك الصور من الآلام ، لذلك هو يرقب مجيئها ويستعذبها لأن فى نهاية تباينها كل مايرجوه من الحياة : راحة ، وهناء .

عزيزتى !

قد تأخذك الدهشة لهذا التحول الفجائى فى أفكارى وفى آرائى حتى كانت لى الشجاعة الكافية فأعلنت ذلك ...

أنا لم أعلن عن بضاعة أولترويج مبدأ ، ولكننى هتفت من قلبى ـ والقلب لا يهتف الا بالحقيقة العارية عن اللبس والغموض ... والحقيقة هتفت بالحقيقة .

ولقد نفضت عنى غبار الماضى بما حمل فيه من أوهام وعادات ، وتركت العالم المظلم ، وأخرجتنى مشكاة الحب بشعلتها الى النور .. الى الحرية .. الى الحقيقة ، وأصحت إحسان بين صورتها اليوم وصورتها أمس ليست لها صلة ، لا فى الدم ولا فى المزاج ، ولا فى الشكل . . حتى ولا فى تعاليمى وجملتى ..

وأعود بك إلى حكايتى : قلبان مسهما الهوى .

وأنت تعلمين انى زوجة وأكثر من ذلك أم لطفلتين .

هل تريدين الافصاح ؟ إذن فاعلمى أنى أحببت شابا .

عندما رأيته لأول مرة انجذبت إليه ، وفى ثانى مرة اندفعت إليه ، وسألته أن يحدثنى ، وأخيرا حدثتنى نفسى عنه وكنت فى تنازع بين العاطفة والواجب ..

وكنت ضعيفة . ضعيفة الى أبعد مدى بين تلك الزوابع ، وعندما اجتمعت به على ساحل البحر بالجهة النائية بسيدى بشر بالمصيف تلاشيت فيه ولم أشعر بوحدانيتى ..

ثم ماذا بعد ذلك ؟ إنه لفتان جميل الأخلاق ... أوهل تسمعين للتأكيد ؟

مضى على حبنا أكثر من سنتين ، ولقد كان حبيبى يتباعد وأمعن فى هذا التباعد لكى أنساه . وكان يرجو من وراء ذلك النفع لى ... فما أشفقه !!

ترك المدينة وسافر ولا أعلم إلى أى جهة قصد ، ولقد رأيتنى طريحة الفراش مدة طويلة وكنت تواسينى ، وعلمت أنه حضر وأسرعت فى لقائه ، وبكى قبل أن أبك ولا حاجة لى إلى التعبير ..

كذلك كان زوجى .. تزوجته من أربع سنوات مضت ، يقضى نهاره فى العمل وليله فى السكر مع الغانيات ، وكثيرا ما كان يبيت فى الخارج أو يأتى فى ساعة متأخرة من الليل .

زففت — كرغبة أهلى — إليه ، ولم أكن أعرفه قبلا .. إنه شاب أيضا ولكنه أظهر خيانة لى بشكل فاضح ولم تحدثنى نفسى بخيانته بالرغم من حبه المفروض علىّ والبائن فى روحينا ...

لذلك لم أنعم بجوار زوجى يوما ، بل كنت أندب حظى معه ولم أشعر بالحياة بجانبه .

أرأيت يا آمال كيف أن الحب قد حاباك وأعطاك صورة بسيطة من رسومه ؟ فلا الخلق ولا الدين ولا المجتمع يتنكر لما فعلته ويحاسبك الحساب العسير .. ؟

لاشىء من هذا حدث لك أو يحدث ، أما أنا فكما قرأت وسمعت وحفظت يحكم الدين والمجتمع علىّ بالخيانة ، والحكم فى ذلك رجس أى موت محقق ، ولكننى أرى بعيد اتهام الخيانة على هذا المجتمع الذى ظل قديما على قدمه : بصوره وأشكاله وألوانه ، فلا تغير ولا إصلاح فيه ..

فلقد وضع هذا المجتمع بأخلاقه لشعب بعيد التاريخ قد نقرأ مدنيتهم كأسطورة تاريخية للتفكهة ، والطبيعة بالرغم من أنانيتها وتأنيها تعمل دائما على تجديد مادتها من حيث أوضاعها وأشكالها ونظمها ، والذى يجبرها على هذا التحول هو الزمن الذى تظهر فيه كائنات راقية تتطلب عالما جديدا .

واذا كانت سنة التجديد ظاهرة واضحة فى شكل الانسان من حيث جمال الأعضاء والتفكير — كما أثبت ذلك علم التشريح . فهل بعد ذلك نسير وراء مجتمع بال وُضع لانسان بعيد دميم الخلقة

(البقية على الصفحة رقم ١١٢٦)